



الأحد 13 فبراير 2011 12:02 م

13/02/2011

فهمي هويدي

أول تهنئة هاتفية تلقيتها من خارج مصر بعد الإعلان عن تنحي الرئيس مبارك كانت من موريتانيا، من صديق يعمل أستاذا للفلسفة بجامعة نواكشوط]

الثانية جاءتني من بيروت التي وجدت أنها تنافس القاهرة فى الفرحة] الثالثة كانت من صنعاء، من أحد الصحفيين الذى فوجئت به وقد انخرط فى البكاء وهو يقول إنه وجيله يشعرون أنهم ولدوا من جديد] الرابعة كانت من اسطنبول] الخامسة كانت من محام بارز فى الدار البيضاء قال إنه تمنى أن يكون فى ميدان التحرير ليقبل يد كل من رابط فيه]

صديقى الأردنى الذى حدثنى من عمان قال إن مظاهرات حاشدة كانت قد خرجت احتجاجا ضد الحكومة، وحين علم المتظاهرون أن مصر الغاضبة انتفضت ضد الرئيس مبارك، فإنهم انفضوا بسرعة وعادوا إلى بيوتهم ليتابعوا على شاشات التلفزيون وقائع ما يحدث فى القاهرة]

من دمشق قال لى السيد رمضان شلاح أمين حركة الجهاد الإسلامى إنه حين التقى الدكتور موسى أبو مرزوق نائب المكتب السياسى لحركة حماس فإن الأخير بدأ حديثا عن الأوضاع فى غزة، فما كان من الأول (أبو عبد الله) إلا أن قال له إن مصر هى القضية الآن وليست غزة، لأن مصر إذا صحت فإن تلك ستكون الخطوة الأولى لتحرير فلسطين وليس حل مشكلة غزة وحدها]

لست أشك فى أن ما جرى معى تكرر مع غيرى ممن يتاح لهم التواصل مع المثقفين العرب والطواف بعواصم المشرق والمغرب فى المناسبات المختلفة] كما أننى لست أشك فى أن المثقفين المصريين سمعوا مثلى حيثما ذهبوا فى العالم العربى السؤل الذى ظل يتردد على الألسنة طوال الوقت حول أوان عودة مصر من تغريبها التى طاللت، فضيعتها وضيعت معها العالم العربى الذى تحول إلى فريسة توزعت على موائد النائم] وهو ما أشرت إليه من قبل فى كتابات عدة، وما سجله آخرون ممن لمسوا كيف صغرت مصر وهانت، حتى فقدت مكانتها وهيبتها، وأصبح الغيورون والوطنيون يتحدثون عنها بمشاعر يختلط فيها الحزن مع الرثاء] وباتوا يذكرونها باعتبارها فقيدا غالبا غيَّبه الموت، أو باعتبارها عزيز قوم انكسر وذل]

لن أتحدث عن مشاعر الشرفاء والأحرار الذين أحبوا مصر واحترموها فى العالم الخارجى، ولد عن بركان الفرح الذى انفجر فى كل أرجاء مصر وشاهد الجميع أصداءه على شاشات التلفزيون، ولكننى ألفت النظر إلى أن الحدث المصرى الكبير الذى دوت أصدائه فى أرجاء العالم العربى، هو بمثابة صدمة أفزعت كل إسرائيل، قادتها وشعبها، ممن استعلوا واستكبروا حين تصوروا أن مصر أصبحت جثة هامة وأماتت معها العالم العربى] وفى عجزها وخيبتها فإنها غدت فى النظر الإسرائيلى «كنزا استراتيجيا» يتعين الإشادة به والحدب عليه]

أما قيامة مصر، واستعادتها لكبريائها وكرامتها بما قد يستصعبه ذلك من أصداء فى العالم العربى، فإنها تعد كارثة تهدد الاستراتيجية الإسرائيلية وتستدعى إعادة النظر فى مرتكزاتها]

لم يعد سرا أن أبالسة السياسة الإسرائيلية تحوطوا لذلك الاحتمال أثناء توقيع معاهدة كامب ديفيد معهم، ومن ثم أخذوا على الرئيس السادات ونظامه الذى كان مبارك استمرارا له تعهدات و ضمانات لا نعرفها، أريد بها ألا تدخل مصر مع إسرائيل فى حرب أخرى، بعد الصدمة التى تلقتها بالعبور الذى تم فى عام 1973. وقد كانت تلك التعهدات حاضرة فى خلفية إشارات السادات المستمرة إلى أن ما وقع بين مصر وإسرائيل هو «آخر الحروب»، ولا تفوتك فى هذا السياق دلالة ما حدث أثناء ثورة الشعب المصرى حين أعلنت إسرائيل أنها «سمحت» للرئيس مبارك بإدخال بضع مئات من جنود الجيش المصرى إلى سيناء (التي هى جزء من التراب المصرى)، وطلبت تحديد موعد لخروجهم] وفى وقت لاحق رفضت طلبا مصرية بزيادة ذلك العدد، حيث يبدو أن حكومة الرئيس مبارك أرادت أن تحتاط لمواجهة أى تهديد فلسطينى من غزة (!!!). بذات القدر فينبغى ألا تفوتك دلالة التحليل أو التحذير الذى نشرته صحيفة هاآرتس أمس (السبت 12/2) فى سياق مقالة كتبها زفاى بارئيل، وكان عنوانها «يجب على الجيش المصرى أن يسير على نهج مبارك»، فى دعوة صريحة لضم الجيش بدوره إلى كنز إسرائيل الاستراتيجى!

لست من الداعين إلى فتح ملف العلاقات مع إسرائيل الآن، ولكن الحاصل أنهم هم الذين يستدعونه، وكذلك الولايات المتحدة وحلفاؤها، بل إننا وجدنا أن السيدة ميركل المستشار الألمانية حين علقت على ما حدث في مصر فإنه لم يشغلها في أمر الثورة المصرية سوى مدى تأثيرها على معاهدة السلام مع إسرائيل[]

إن صحوة مصر تطرد النوم من عيون كثيرين، ممن يعرفون حقيقة قدرها، وهو ما لم يعرفه أبدا نظام مبارك الذي ظل طوال ثلاثين عاما عاجزا عن أن يفهم هذا البلد أو يعرف قدره[] لذلك لم يكن غريبا ألا يفهم ثورة شباب مصر وأن يعجز عن استيعاب رسالتهم[]